
الأزهر الشريف
مكتبة المنارة الأزهرية
الشيخ المحلاوي..
ظاهرة النضال السياسي
www.kotobarabia.com
د. محمد مورو



الشيخ المحلاوي..

ظاهرة النضال السياسي

الشيخ أحمد المحلاوي

د. محمد مورو


الأزهر
الشريف
مكتبة المنارة الأزهرية
الأزهر الشريف

فهرس

مقدمة

في مواجهة بريق إعلام السلطة ورجالها وعمائمها ندرس قضية الشيخ أحمد المحلاوي، العالم المسلم المناضل الذي اختار طريق الإسلام: طريق المستضعفين والثورة، رافضا كل إغراءات السلطان وذهب السلطان وأمن السلطان لأنه أدرك مسئوليته وهو العالم الأزهري الواعي، مسئوليته في حمل راية ا ومواصلة طريق العلماء الأفذاذ والمجاهدين، منذ صرخ العز ابن عبد السلام: لا لظلم السلاطين.

* * * *

د. محمد مورو



لا شك أن الشيخ أحمد المحلاوي يأخذ أهميته التاريخيـة من عدة مسارات:

١- تطور الشيخ أحمد المحلاوي بالحركة الإسلامية في مصر السبعينيات من حركة حـض علـى مكـارم الأخلاق والاهتمام بزي وأسـلوب التربيـة وبنـاء الصف إلى حركة الجهاد السياسي.

٢- الشيخ أحمد المحلاوي يمثل الطرح الإسلامي المتقدم الذي أدرك حقيقة وأبعاد الصـراع فـي المنطقـة وبالتالي أولويات المهام الإسلامية، فقد دفع بالحركة الإسلامية صوب اعتبار القضية الفلسطينية: القضية المركزية للحركة الإسلامية وليسـت أحـد قضـايا الحركة الإسلامية.

٣- الشيخ أحمد المحلاوي يمثل رجل الـدين الثـائر ـ والذي رفض خدمة كل نظام كما يمثـل الصـلابة الإسلامية، والعفة عبر رفض كل محاولات إغرائه بالعمل في دول النفط، واختيار الإسلام المريح الذي يدر ريالاتٍ ونوما مريحا واختار الإسـلام الخطـر

الذي يؤدي إلى السجون والحياة على الكفاف له ولأولاده.

٤- الشيخ أحمد المحلاوي يمثل القيادة الإسلامية التي تجمع بين العفة والنزاهة والقدرة على تحريك الجماهير المسلمة.

٥- الشيخ أحمد المحلاوي يمثل ذلك الفقيه المسلم الذي يقف مع الفقراء والمستضعفين.

* * * *

ظاهرة النضال السياسي:

طرحت الحركة الإسلامية في السبعينيات أساليب عمل مختلفة منها:

أ) الحض على مكارم الأخلاق عبر الدعوة إليها.

ب) بناء الشخص المسلم في مجموعات داخل المساجد وبمعزل عن الجماهير.

ج) دعوة الجماهير بوهم أنها قادرة على تنظيم كل الشعب أو ٧٥ % منه كما جاء في بعض الكتابات وذلك لصنع الصف المسلم.

د) العمل كبديل للجماهير وليس كقيـادة لهـا. وهكـذا وبصرف النظر عن مدى انطباق ذلـك بالكامـل أو انطباقًا هندسيا على واقع الحركـة الإسـلامية فـي السبعينيات، وبصرف النظر عن ظروف الضـربات القاسية والتصفيات الرهيبة والمعاملة الوحشية التـي لاقاها أبناء الحركة الإسلامية. فإنه لابد من وقفة مع تلك المقولات والتي تجعل المرء المسلم في ممارسة للنقد والنقد الذي يقف بالكامل مع أسلوب الشيخ أحمد في النضال السياسي.

طرح الشيخ أحمد المحلاوي في مواجهة ما سبق ـ طرح أسلوب النضال السياسي بالمعنى الإسلامي.

إن ا سبحانه وتعالى حين خلق الأرض وجعل الإنسـان خليفة لها، فإنه سبحانه قد صممها بشـكل ربـاني مكتملـة الحكمة وملبية حاجات الإنسان، وبالمقابل فإنه أعطى الإنسان العقل وجعله قادرا على الخلافة في الأرض وزوده بكل مـا يحتاج إليه في تلك الخلافة.

لقد صمم ا   سبحانه الكون كله لخدمة الإنسان من ناحية وليقود الإنسان ببساطة شديدة إلى ا   في كل صغيرة وكبيرة في هذا الكون.. إن كل ما في هذا الكون يقود إلى ا .

وخلق للإنسان عقله الذي يستطيع بـه وبسـهولة تامـة الوصول إلى ا   ومعرفته.

وهكذا فإن الكون والعقل معا يقودان إلى ا .

ولم يكتف بذلك بل إن ا   قد أودع في فطـرة الإنسـان وجود ا ، وأخذ عليه ميثاقًا قبل أن يستخلفه في الأرض.

﴿ وإذْ أَخَذَ ربك مِن بنِـي آدم مِـن ظُهـورِهِم ذُريـتَهم وأَشْهدهم على أَنْفُسِهم أَلستُ بِربكُم قَالُوا بلَـى شَـهدنَا أَن تَقُولُوا يوم الْقِيامةِ إِنا كُنا عن هذَا غَافِلِين﴾.

كما أن ا   سبحانه وتعالى قد ذكر الإنسان من فترة إلـى أخرى بذلك الميثاق عبر الأنبياء والكتب السماوية والعلمـاء الذين يدعون إلى ا .

وهكذا فإن ا   سبحانه وتعالى قد أقام على الناس الحجـة الكاملة، ولكن القوى الشيطانية وبالمقابل وضـمن سـنن ا   سبحانه وتعالى كان عليها أن تحـاول منـع الإنسـان مـن الوصول إلى ا .

ولما كان العقل والكون وكل شيء يقـود إلـى ا ، وأن التفكير الحر البسيط يقود إلى منهج ا ببساطة شـديدة فـإن القوى الشيطانية قد حددت دورها في:

١- منع الإنسان من حرية التفكير ـ وحرية المناقشـة ومختلف الحريات السياسية ـ حتى لا يسمع الإنسان إلا صوتًا واحدا وهو صوت الضلال، ذلك أن تلـك القوى تدرك أن إطلاق حرية الإنسان سـوف يقـود إلى اختيار الإنسان لطريق ا سبحانه وتعالى.

وبالتالي يترتب على القوى الإسلامية أن تقف مع إطلاق كافة الحريات السياسية، لأن ذلك يقود الجماهير على ا .

٢- قمع الإنسان اقتصاديا وحرمانـه ودعـم الطبقـات المستغلة التي تكبل الإنسان بما أنه غارق في تأمين لقمة عيشه ـ من الوصول إلى ا .

وبالتالي فإن القوى الإسلامية تتصدى لكافة أشكال الظلـم الاقتصادي مدركة أن تحقيق العدالـة الاقتصـادية يحـرر الإنسان يدفعه في طريق ا .

٣- إغراق الإنسان في الضلالات الاجتماعية المختلفـة التي تعوقه عن الوصول إلـى ا مثـل الـدعوات

القومية والعرقية والعنصرية والتعصب للوطن أو العائلة والقبيلة.

ولذا فإن القوى الإسلامية عليها أن تسقط كل تلك الانتماءات وتحرر الجماهير منها.

ولقد أدرك الشيخ أحمد المحلاوي ذلك، وبالتالي فإنه فهم دور الحركة الإسلامية التي عليها أن تزيل كل تلك العقبات ثم تترك للناس حرية الاختيار.

وهكذا اختار الشيخ أحمد المحلاوي أسلوب النضال السياسي، والتصدي مباشرة لمعالجة الجذور وبالتالي فقد وقف بصلابة مع:

١- إطلاق حق الجماهير في التفكير والمناقشة والحق الاجتماعي وحق التظاهر وحق إصدار الصحف وحق إقامة التنظيمات العلنية المستقلة.

٢- وقف الشيخ أحمد المحلاوي بصلابة مع الفقراء ودعا إلى العدالة الاقتصادية ،وحق كل إنسان في المأكل والمشرب والمسكن والمواصلات.

٣- وقف الشيخ أحمد ضد كل أساليب التجهيل من دعوات وطنية أو قومية أو قبلية.

وهكذا أدرك الشيخ أحمد المحلاوي أنه بإسقاطه للاستبداد السياسي والظلم الاقتصادي والتجهيل الاجتماعي فهو في الحقيقة يدعو الناس إلى الإيمان بالإسلام بيسر وسهولة، مع الأخذ في الاعتبار أن انحدار الأخلاق - وخلاعة المرأة وغيرها ما هي إلا نتائج، وأن الإصلاح الصحيح يبدأ من الجذور فالإسلام أصلاً تحرير الإنسان من كافة القيود السياسية والاجتماعية وتركه يختار بحرية.

وقد رفض الشيخ أسلوب التربية بمعزل عن الجماهير فالحقيقة أن الدعوة الإسلامية موجهة أساسا لكل الناس وعلى الجميع أن يدركوا أنهم ليسوا فرقة جديدة بل عليهم أن يناضلوا مع الجماهير في مشاكلهم اليومية، وأن يلتحموا بها كأعمق ما يكون الالتحام، وأيضا رفض الشيخ أحمد مسألة تكفير الناس. فقبل أن نحكم على الناس.. علينا أن نحررهم من كل العوائق والسدود ثم نحكم عليهم.

[٢]

فهم الشيخ أحمد المحلاوي بوعيه الإسلامي الفذ حقيقة الصراع في المنطقة، وأدرك أن إسرائيل في النهاية ليست إلا رأس جسر للقوى الشيطانية، تستهدف قلب الأمة الإسلامية

وأن توجهها الحقيقي هو الإسلام والجماهير المسلمة.. وأن أهم أهداف إسرائيل هو تطويق حركة الجماهير المسلمة.. وأن أهم أهداف إسرائيل هو تطويق حركة الجماهير المسلمة وصرفها عن مهماتها وإغراقها في مشاكلها ليسهل لها بلع العالم الإسلامي وتدميره النهائي. وهكذا فإن الشيخ أحمد أدرك أن الصراع مع إسرائيل هو مع الجماهير المسلمة وحرياتها وأرضها وخبزها، وهكذا فقد أدرك أن حرب التحرير الشعبية الإسلامية هي السبيل الوحيد لتحرير الأمة الإسلامية من الخط الصهيوني، ولذا فقد رفع شعار أن القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للحركة الإسلامية في هذه المرحلة، ولم يساوِ بينها وبين غيرها من القضايا مع أهمية القضايا الأخرى.

[٣]

الشيخ أحمد المحلاوي يمثل رجل الدين الثائر. ولقد حاول الاستعمار بكل أجهزته ووسائله خلق انفصام بين العالم المسلم وبين الجماهير، وخلق جو من عدم الثقة بينهما، وذلك أن الاستعمار يدرك أنه بذلك ينفرد بتلك الجماهير بدون سلاحها العقيدي، ويحمله بأسلحة زائفة من صنعه مثل

الاشتراكية والليبرالية والقومية وغيرها، ليسهل عليه بعد ذلك هزيمة الجماهير وصرفها عن واجباتها، وتحويلها إلى كيـان لا وجود له، وبالتالي إلى عبيد لخدمة مصالحه، ومـن ثـم القضاء النهائي على الإسلام وعلى الجماهير المسلمة التـي هي في الحقيقة الخطر الحقيقي على الاستعمار.

ولقد وقف الشيخ المحلاوي ضد كافة أسـاليب الترغيـب والترهيب شامخًا. وقف مع الجماهير ولم يخنها عبر تركهـا وحيدة للذهاب حيث البترول والريالات والإسلام المريح. ولم يخنها عبر إغلاق بابه في وجههـا، ولـذلك فـإن الشـيخ المحلاوي وبما أنه جزء من تلك الجماهير المسلمة الفقيـرة فقد أصبح رائدا لها:

- الشيخ المحلاوي يسكن فوق سطح إحدى العمـارات في غرفتين فقط.
- الشيخ المحلاوي يتواجد في الحي الذي يسـكن فيـه بشكل مستمر، عبر مشاركة الجمـاهير فـي كـل مشاكلها اليومية، وبالتالي فإنك في أي مكـان فـي حمامات كليوباترا بالإسكندرية تستطيع أن تستدل من

أي شخص ـ رجل أو امرأة عجوز أو حتى طفل ـ على مسكن الشيخ أحمد.

[٤]

الشيخ أحمد المحلاوي ـ انطلاقًا مما سبق ـ فقد أصـبح موضع ثقة الجماهير وهو في الأصل يثق فيها، وبالتالي فهو قادر على تحريكها في أية لحظة وفـي الاتجـاه الصـحيح والشيخ أحمد يثق في الجماهير تماما، ولا يتصـرف بـديلاً عنها، ولكنه يسلحها بالوعي لتخوض هي معاركهـا بنفسـها فهي صاحبة المصلحة في تلك المعارك، وبالتالي فقد أسـقط وهم أن يتصرف الإسلاميون بديلاً عن الجماهير.

[٥]

الشيخ أحمد يقف مع المستضعفين في كل مكان من العالم ويدافع عن حقوق الفقراء تماما، ويدرك أن الحماية الحقيقيـة للطليعة المسلمة هي الجماهير، وأن أبناء الصف الإسـلامي الطويل مهما طال فإنه يسهل ضربه. بل إن عليه أن يسـلح الجماهير بالوعي ويقف معها ويخوض معها معاركها حتـى النهاية. فلسنا بديلاً للجماهير مهما كبر صفنا الطويـل، وأن

حكاية دعوة الناس حتى يصبح ٧٥ % من الناس منظمـين إنما هو وهم تاريخي ولم يحدث في تاريخ الدعوات الربانيـة ولكن على المسلم والداعية أن يدافع عن حقـوق الجمـاهير المستضعفة؛ فإن هذا هو السبيل الوحيد لتحريرهـا وتحقيـق إسلامها؛ فالإسلام منهج طليعة مؤمنة تقود أوسع الجمـاهير وبخاصة المستضعفة في اتجاه انتزاع حقهم فـي الحريـات والحياة الكريمة، وحق اختيار عقائدها ومشاركتها في رسـم مستقبلها.

حياة الشيخ أحمد المحلاوي:

ولد الشيخ أحمد المحلاوي في إحدى قرى كفـر الشـيخ بمصر، ونشأ يتيما وحفظ القرآن مبكرا وقد عانى مثلما يعاني كل الفقراء من شظف الحياة، والعمل بـأجر يـومي لـدى المستكبرين، وهكذا تحمل مسئوليته تجاه أسرته وهو في سن صغيرة.

ترعرع الشيخ أحمد المحلاوي في جو الفقـراء والقـرآن الكريم؛ فخرج مسلما ثوريا، لأنه لم يمارس يوما الاسـتكبار أو الترف.

وقد اختار أن يدخل كلية اللغة العربية، وهكذا فقد كان ذلك مدخلاً رائعا ليفهم القرآن ويتفاعل معه.

مارس الشيخ أحمد في كلية اللغة العربية بالأزهر النضال السياسي كما يمارسه الأزهريون الشرفاء، لتعديل أحوال الأزهريين وإصلاح أسلوب الدراسة في الأزهر.

تخرج الشيخ من كلية اللغة العربية، وكان خريجو تلك الكلية يعملون بالتدريس، ولكنه رفض مهمة التدريس معلناً أنه لابد أن يكون إماما في مسجد، لأن هذا هو دور المسلم الأزهري الواعي، واختار العمل بالمساجد مع الأخذ في الاعتبار أن ذلك العمل كان غير مجزٍ ماديا، وهو في السلم الاجتماعي السائد أقل من مهنة التدريس (كان ذلك في أواخر الخمسينيات).

بدأ الشيخ أحمد حياته كإمام في إحدى قرى محافظة كفر الشيخ، وقد قام بتعبئة الفلاحين للتضامن فيما بينهم، وأسس منهم جمعيات تعاونية للبر والتعاون على قضاء حاجاتهم، مثل مساعدة الأسر الفقيرة، ووصل به الأمر أنه قاد الفلاحين لرفض كل ما هو غير إسلامي في الحياة اليومية، وفي فترة قصيرة أصبح زعيما حقيقيا لفلاحي القرية.

وقد بدأ الشيخ أحمد دروسا خصوصية داخل المسجد لأبناء وبنات الفلاحين، مستغلاً ذلك في توعيتهم بالوعي الإسلامي الصحيح، وتعويدهم على الصلاة ذكورا وإناثًا كما أنه شيئًا فشيئًا دعا الفتيات إلى الزي الإسلامي.

نُقل الشيخ أحمد إلى الإسكندرية، وعمل بمسجد القائد إبراهيم، واستمر في سعيه في الاندماج مع الجماهير المسلمة؛ فاستمر في عمل الدروس الخصوصية في كافة مواد التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي. كما قام بإعطاء دروس الإسلام عقب الصلوات، وبمواعيد محددة ولم يقتصر على مسجد القائد إبراهيم بل سعى إلى كل المساجد.

ولقد خطا الشيخ أحمد خطوة رائدة إلى الأمام، وذلك بتدبير وتوفير الأجهزة العلمية مثل الميكروسكوبات وغيرها، والشرائح العلمية لطلبة الكليات العملية داخل المسجد، ودعا الأساتذة المسلمين إلى إلقاء المحاضرات العلمية على طلبة الجامعة بالإسكندرية. وهكذا فإن الشيخ أحمد قد جعل المسجد محور الحركة، ومركزها داخل التجمعات السكانية وخصوصا الفقيرة في الإسكندرية.

- دعا الشيخ أحمد إلى زيادة الأجور وتخفيض الأسعار والمساواة الاجتماعية، وندد بسياسة إفقار الجماهير بزيادة أسعار السلع دون أن يقابلها زيادة في الأجور.
- وقف الشيخ أحمد بشدة ضد تزوير الانتخابات في الجامعات المصرية ودعا إلى إطلاق الحريات السياسية وإلى العدل الاجتماعي وحق الجماهير في الحياة الكريمة، وحرية إصدار الصحف وتشكيل الأحزاب العلنية وحق الاجتماع والتظاهر وحرية إبداء الرأي.
- دخل الشيخ أحمد المحلاوي انتخابات مجلس الشعب في ١٩٧٩ ضمن مجموعة من المرشحين المسلمين وأعلن برنامجه الانتخابي مع كل من عادل عيد المحامي والشيخ محمود عيد وغيرهم في الإسكندرية داعيا إلى:

١- رفض الانفتاح وسلوك النمط الإسلامي في التنمية.

٢- حق الجماهير في الحريات والحياة الكريمة.

٣- رفض كل أشكال الاستبداد.

٤- ربط الأجور بالأسعار.

٥- رفض سياسة كامب ديفيد والتصالح مع رأس الهجمة الاستعمارية في الوطن المحتل.

ولكن النظام قام بتزوير الانتخابات مما جعل جماهير الإسكندرية على وشك الانفجار.

كان الشيخ أحمد يتصدى بشكل مستمر لمشاكل المسلمين اليومية في خطب الجمعة، مما دفع أوسع الجماهير إلى الذهاب إلى مسجد القائد إبراهيم لسماع خطبه، وذلك لأنه يعبر عن همومهم فلقد ناقش الشيخ أحمد في خطبه مشكلة الإسكان والمواصلات والغلاء والصراع مع اليهود والحريات العامة وغيرها.

وهكذا صعد الشيخ أحمد سرعة إلى قيادة الجماهير في الإسكندرية، لأنه وبالتحديد كان يوجه النقد إلى المسئول عن الإهمال والقصور محددا أن لكل مسلم حقًا في رقبة رئيس الجمهورية مباشرة، وأن رئيس الجمهورية بالتحديد هو المسئول الأول، وأن أي خطأ أو قصور أو انحراف يمارسه أصغر مسئول فإنه يقع على عاتق رأس النظام، وهكذا فقد قفز بوعي الجماهير خطوة هائلة إلى الأمام، وأصبحت الثقة بينه وبين الجماهير قوية لدرجة لا يمكن فصمها.

- رفض الشيخ أحمد من موقعه على المنبر كل أشكال الترف والبهرجة مثل إنفاق (٢٠ مليون جنيها) على افتتاح قناة السويس معلنًا أن هناك الكثيرين الذين لا يجدون مساكن كان من الأجدى أن تبني بتلك الأموال مساكن لهم بدلاً من سكناهم في القبور.
- رفض سياسة الانفتاح لأنها تربط اقتصادنا بالغرب، الذي لا يضمر لنا أي خير، ودعا إلى سـلوك نمـط خاص في التنمية الاقتصادية يعتمد علـى الشـريعة الإسلامية وعلى الاقتصاد الإسلامي.

استمر الشيخ أحمد في تنديده المستمر بسياسة كامب ديفيد معلنًا أن لا صلح مع دولة اليهود لأنهـا كيـان اسـتعماري يستهدف قلب الأمة المسلمة، وأن لهـا توجهـات عقائديـة وتاريخية، وأن التناقض بيننا كمسلمين وبينها تناقض لا يحله إلا فناء أحد الطرفين. فهـي تسـتهدف حضـارتنا ودينـنـا وأرواحنا.

وهكذا فإن الشيخ أحمد كان الوجـه الصـحيح لنضـال المسلمين في تلك المرحلة، مما جعل الشرفاء من السياسـيين يميلون إلى الاتجاه الإسلامي، واتخذوا من مسجد القائد مجالاً

للحركة وعمل الندوات، ولذا فقد أصبح مسجد القائد إبـراهيم هو قيادة المعارضة في مصر جميعهـا، وجـاء إليـه كـل المعارضين ليلتقوا بالجماهير مباشرة.

ولم يكتف الشيخ أحمد بذلك بل إنه جاب كل قرى مصـر ومدنها وجامعاتها داعيا إلى الإسلام الحقيقي.

وقد ندد الشيخ أحمد المحلاوي باستقبال السـادات لشـاه إيران معددا جرائم الشاه، وأعلن أن مصر الإسلامية لا يليق بها أن تستقبل جلادي الشعوب سفاحيها وسافكي دمائها.

أيد الشيخ أحمد بلا تحفظ عمليـة احتجـاز الجواسـيس الأمريكان في وكر الجاسوسية الأمريكية في إيران، وأعلـن أن على كل مسلمي العالم أن يقفوا ضـد الشـيطان الأكبـر أمريكا.

وهكذا فإن الشيخ أحمد قد أصبح بما لا يملك من وعي فذ ومن ثقة الجماهير يمثل خطرا حقيقيا على النظـام وعلـى المصالح الأمريكية التي يفضحها أسبوعيا وقد دعا إلى إلغاء القواعد الأمريكية (في رأس بنـاس علـى شـاطئ البحـر الأحمر) وهكذا تحرك المستكبرون ليضعوا سدا بين الشـيخ وبين الجماهير.

بدءوا بإغرائه بالعمل في دول النفط وبالبعثات إلى أوروبا والعمل في المراكز الإسلامية، ولكنـه رفـض أن يخـون الجماهير.

وهكذا جاء القرار بإيقاف الشيخ أحمد عن العمل، ومنعـه من خطبة الجمعة ليفصلوا بين الرجل وجماهيره.

ولأن الشيخ أحمد كان أملاً للجماهير المسلمة. وقد دافـع دائما عنها وقد عرفها وعرفته؛ فإن تلك الجماهير رفضـت القرار تماما، وتدافعت الملايين إلى مسجد القائـد إبـراهيم وأصبحت منطقة المسجد تغص بالجماهير المليونيـة التـي تداعت إلى التظاهر لعودة الشيخ أحمد، وقد أسقط فـي يـد قوات الأمن التي جاءت بعرباتها بل ومدرعاتها التي أحاطت بها الجماهير من كل جانب، بل إن بعض الجماهير قد ركبت تلك العربات والمدرعات، وتبادلت الحديث مع الجنود الـذين يقفون بقلوبهم مع الشيخ أحمد، وبـدا أن مظـاهرةً مليونيـة ستخرج، وأن عصر الجمـاهير المسـلمة سـيبدأ، ولكـن المرجفون والمثبطون دعوا الجماهير كالعادة إلـى الهـدوء والحذر والحكمة.. إلخ.

واستطاعوا أن يفرغوها من الحماس وهكـذا انصـرفت الناس وظل الشيخ وحيدا.. بعـد أن مكـان محروسـا مـن الملايين التي كانت قادرة على حمايته، وإرجاعه إلى مكانـه في المنبر، بل وكانت قادرة على ما هو أكثر من ذلك لـولا المثبطون ودعاة الحكمة.

وهكذا بعد أن فقد الشيخ أحمد الدرع سهل علـى النظـام اعتقاله، ولكن الرجل صمد صمود الأبطال في معتقله حتـى أفرج عنه.

ولكن هناك إشارة نود أن نسجلها قبل أن ننهي هذا الفصل وهي: لماذا كان السادات منفعلاً أشد الانفعال تجـاه الشـيخ أحمد المحلاوي، العالِم المسلم الفقير، لدرجة أن يطلب مـن زبانيته معاملته بوحشية وإيداعه السجن الخاص بـالمجرمين الخطرين؟! بل إن الطاغية وعلى شاشة التليفزيون وبـدون حياء يصف الشيخ الأعزل بأنه ملقى كالكلاب فـي زنزانـة انفرادية!!

إن انفعال النظام وحقده في معاملة الشيخ أحمد جاء بـلا شك لأن الشيخ طرح الإطار الصحيح للعمل الإسلامي وهـو النضال السياسي الجماهيري الإسلامي، وأدرك أن العمل هو

مع الناس وبهم وليس بديلاً عنهم، وأن تبني وحمـل همـوم الأمة وإطلاقها هو الطريق الصحيح نحو التغيير الإسلامي.

إن رد فعل النظام وحقده إشارة هامة إلى أن هذا الخـط الذي انتهجه الشيخ أحمد كان خطًا صوابا، وإشارة كذلك إلى الجماهير المسلمة والقيادات الإسلامية الواعية فـي مصـر الإسلام، إلى انتهاج هذا الطريق، من أجل أن يشرق حكم ا ومجتمعه ثانية على أرض الكنانة.

* * * *

الشيخ ودور
المسجد في المجتمع

منذ الوهلة الأولى لاستلام الشيخ عمله سواء في البـرلس أو مسجد سيدي جابر أو في مسجد القائد إبراهيم بالإسكندرية والشيخ يدرك أن أمانة ا قد حملها. كان يدرك أن العلمـاء هم ورثة الأنبياء وقرر الشيخ أن يؤدي الأمانة. كان المسجد دائما هو محور الحياة بالنسبة للمجتمع الذي يوجد فيه هـذا المسجد؛ ففي قرية البرلس محافظة كفر الشيخ كان المسـجد مكانًا لتدريس الدين الإسلامي الحنيف، ومكانًا لمحو الأميـة وإقامة الدروس العلمية للطلاب. ومناقشة مشـاكل مجتمـع القرية المشاكل الزراعية والاجتماعية والأسرية. كان المسجد يقوم بدور العمودية وقسم الشرطة. يقـوم بـدور الشـئون الاجتماعية ويقـوم بـدور الأجهـزة الشـعبية والمحليـة. والمنازعات تفض داخل المسجد ويحكم فيها الشـيخ أحمـد ويقبل الناس حكمه برضا كبير وطيب نفس لأن الشيخ علمهم أن العلماء يوقعون عن رب العالمين.. الفقراء تُجمـع لهـم الأموال وتوزع عليهم من داخل المسجد.. الجميـع يـأتمن

الشيخ أحمد على أسراره الأسرية والشخصية والشيخ أحمد يوجههم. المشاريع العمرانية الخاصة بالقرية يقوم الشيخ أحمد بها من داخل المسجد. لم تعد القرية بحاجة إلى العمدة أو المأمور أو موظف الشئون الاجتماعية أو المحاكم أو غيرها، كان المسجد محور كل شيء. وكان شيخ المسجد هو المرجع في كل شيء. يحمل هموم الفقراء ويصلح المتخاصمين. يزوج ويطلق ويفتي في كل الشئون. وارتبط الناس بالمسجد أيما ارتباط وأصبح من النادر أن تجد إنسانًا في القرية لا يصلي ولا يغشى المسجد في كل صلاة.

وجاء الشيخ أحمد على مسجد القائد إبراهيم بالإسكندرية وكان من الطبيعي أن يواصل الشيخ رسالته التي حملها باعتباره عالما من علماء الإسلام. ومارس الشيخ دوره. وتتابعت حلقات محو الأمية، ودروس الدين بين المغرب والعشاء.. واستدعى الشيخ المدرسين وأساتذة الجامعة بالمنطقة ليقوموا بالتدريس للطلاب، ولم يكتف الشيخ بهذا بل اشترى بالجهود الذاتية الأجهزة العلمية المطلوبة للطلاب مثل الميكروسكوبات والشرائح وغيرها. واستمر الشيخ في أداء دوره في فض المنازعات وجمع الأموال للفقراء ودعى

الشيخ إلى ارتداء الزي الإسلامي للبنات. واسـتجاب أهـل المنطقة. وأصبح الشـيخ والمسـجد همـا محـور الحيـاة الاجتماعية في المنطقة، وكان من الطبيعي أن يناقش الشـيخ في خطب الجمعة القضايا السياسية التي تهـم الإسـكندرية ومصر عموما.

* * * *

موقف الشـيخ مـن القضـايا السياسـية والاجتماعية:

أدرك الشيخ أن عالم الدين الإسلامي. ليس كغيـره مـن علماء الأديان الأخرى فعلماء الدين الإسلامي مطالبون أمـام ا ثم أمام الأمة بالتصدي لمشاكل الأمة ومناقشة قضـاياها السياسية والاجتماعية الاقتصادية، وأن يحمل همـوم الأمـة فوق كتفيه، وإلا فإن حسابه أمام ا سيكون عسيرا.

وفي كل مرة كان الشيخ يصعد المنبر، ويشعر أنه يقـف في المكان الذي يقف فيه رسول ا ﷺ كان يشعر بمسـئولية ضخمة، وبالتالي يناقش مشكلة من مشكلة الأمـة وإلا فـإن

خطبته خيانة، وخصوصا أن الأمة الإسـلامية فـي حالـة انحطاط وتعاني من مشاكل ضخمة.

* * * *

* موقف الشيخ من قضية الحريات

حدد الشيخ موقفه من الحريات بوضوح شديد منذ اللحظة الأولى. أعلن الشيخ أن الإسلام هو الإيمـان بـا وإقامـة مجتمع الحرية والعدل وفقًا للشريعة الإسلامية، كان الشـيخ يكرر في كل خطبة على حقوق الأمة تجاه حكامها. حقهم في الاعتراض السلمي، وإقامـة كيانـاتهم السياسـية والنقابيـة المستقلة. وحقهم في إصدار الصـحف ومناقشـة قضـاياهم بحرية - حقهم في الاجتماع وحقهم في التظـاهر السـلمي وهكذا أصبح مسجد القائد إبراهيم بالإسكندرية كعبة الحريـة لقد جاء إلى المسجد كل من أراد أن يعبر عن رأيه بحريـة، لقد أصبح المسجد قلعة الحرية جاء إليه السياسيون، وفتح لهم الشيخ صدره ومسجده، وأقيمت الندوات في مختلف القضـايا وكان الأستاذ محمد حلمي مراد وفتحي رضوان وكمال الدين حسين يذهبون إلى المسجد ويقيمون الندوات برعاية الشـيخ وتحت إشرافه.

ولقد وقف الشيخ وقفة شجاعة ضد تزييـف الانتخابـات وخصوصا سنة ١٩٧٩. كما وقف الشيخ بجانب الطلاب في مطالبهم الخاصة بالانتخابات الطلابية، وشجب الشـيخ مـن على المنبر تصرفات الحكومة تجاه الطلاب؛ حينمـا قامـت إدارة جامعة الإسكندرية بشطب أسماء بعـض المرشـحين لاتحاد الطلاب.

كما وقف الشيخ مع حق النقابات في انتخابـات ممثلـيهم بحرية، وأعلن الشيخ أكثر من مرة تضامنه مـع المعتقلـين السياسيين، وتعجب من تشدق النظام بسيادة القـانون التـي أصبحت حبرا على ورق على حد قول الشيخ، كما تضـامن الشيخ مع الأسر المصرية في الصـعيد التـي تعـاني مـن اعتداءات الشرطة أثناء التفتيش على السلاح في الصعيد.

* * * *

موقف الشيخ من قضية العدالة الاجتماعية

دأب الشيخ أحمد المحلاوي في خطب الجمعة على شرح حقوق المسلم على الحاكم: حقه في مسكن مريح وحقه في طعام متوفر ورخيص وحقه في مواصلات مريحة. وهكذا كان الشيخ دائما يناقش مشكلة المواصلات و مشكلة الإسكان و مشكلة الرغيف ومشكلة الأجور والأسعار.

كان الشيخ ينتقد بذخ الرئيس السادات في بناء الاستراحات في وقت يسكن فيه الشعب المصري في المقابر. كما انتقد الاحتفالات المكلفة التي يقيمها السادات في كل مناسبة، وعلى سبيل المثال حفل افتتاح قناة السويس، وأعلن الشيخ أحمد من على المنبر أنه كان أجدى للشعب بناء ثلاثة آلاف وحدة سكنية بدلاً من احتفال الافتتاح. كما انتقد الشيخ أحمد المحلاوي بذخ السيدة جيهان السادات زوجة الرئيس الراحل، وانتقد تصرفاتها كما انتقد تصرفات عصمت السادات في الميناء وغير الميناء.

في خطب الجمعة كان الشـيخ أحمـد ينـاقش المشـكلة الاقتصادية ويحلل أسبابها معلنًا أن إقامة مجتمع لا طبقي هو هدف الإسلام، ويجب أن نطبق الاقتصاد الإسلامي حتـى لا يبقى فقير أو عاطل في مصر. دعا إلى عدم ربط اقتصـادنا بالشرق أو الغرب، وأن التنمية الحقيقية لابد أن تعتمد علـى شعبنا وفقًا لدينه وتراثه وتركيبته الشخصية، وأن الارتبـاط بالشرق أو الغرب هو سبب أزماتنا. وأن الغرب والشرق لن يكونا قط مخلصين في مساعدة شعبنا علـى النهـوض بـل العكس هو الصحيح. وأن الاستقلال الحقيقي هو بناء نمط من التنمية غير تابع للشرق أو للغرب. وقف الشيخ أحمد ضـد الانفتاح بما جره علينا من فساد اقتصادي وأخلاقي ورفـض الشيخ أحمد السماح ببنوك أجنبية في مصر؛ حيث أنها سوف تقوم باستنزاف مواردنا ولن تشارك في التنمية.

دعا الشيخ أحمد إلى ربط الأجر بالأسعار، ودافـع عـن العمال والفلاحين، ودعا إلى إصلاح أحوال المناطق الشعبية من حيث مياه الشرب والمجاري ورصف الطرق وغيرهـا من الخدمات، ودعم قصر ذلك على الشوارع التي يسـكنها كبار المسئولين.

موقف الشيخ أحمد من الاستعمار والصهيونية

لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن الجهد الرئيسي للشيخ أحمد تمثل في اهتمامه بقضية الاستعمار والصهيونية.

لقد وضح الشيخ أحمد أن الاستعمار ليس مجرد احتلال عسكري، وأنه يكمن في كل توجه سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي مرتبط بالشرق أو الغرب، وحدد الشيخ أحمد أنه لكي نصبح مستقلين لابد من تصفية النفوذ الاستعماري في توجهاتنا السياسية. يجب ألا نرتبط بأحلاف عسكرية أو سياسية، ويجب ألا نسمح بقواعد أجنبية على أرضنا.. يجب أن يكون توجهنا السياسي تجاه التكامل والوحدة مع العالم الإسلامي. يجب دعم الشعوب الإسلامية المضطهدة، بل يجب دعم كل المستضعفين والمضطهدين في العالم.

لقد حيا الشيخ أحمد الثورة الإسلامية في إيران ورفض استقبال السادات للشاه في مصر، لأن هذا استفزاز لمشاعر المسلمين والشاه جلاد ومجرم. فكيف نستقبل حاكما أذل شعبه واضطهده ونكل به.

كما دعا إلى التضامن مع الشعب الأفغاني المسلم ضد الاحتلال الروسي البشع. وأعلن الشيخ أحمد أنه لابد من تصفية الأشكال الاقتصادية من الإقطاع والرأسمالية، لأنها مرتبطة بالاستعمار، والاستقلال الحقيقي يعني إقامة مجتمع يقوم على الاقتصاد الإسلامي.

كما حدد الشيخ موقفًا واضحا تجاه زرع التقاليد الغربية في الثقافة والتعليم والأزياء، ونادى بضرورة رسم السياسات التعليمية والثقافية والدينية بشكل إسلامي، وخرج من مسجد القائد إبراهيم شعار أن الزي الإسلامي أحد وسائل الكفاح ضد الاستعمار والصهيونية.

ودعا الشيخ أحمد إلى تطبيق القانون الإسلامي. لأن القانون الفرنسي المعمول به في محاكمنا يعني أننا ما زلنا مستعمرين. فكيف ندعي أننا مستقلون والقانون الذي نتحاكم به قانون استعماري، وطالب بضرورة تصفية الوجود الاستعماري في القوانين، واستبدالها بالتشريع الإسلامي الحنيف.

* * * *

القضية الفلسطينية

وبالنسبة للقضية الفلسطينية. فإن تلك القضية ووفقًا لرؤية الشيخ هي القضية المركزية للعالم الإسلامي، وبالتالي فهـي أهم قضية تواجهنا، وبالتالي فإن من النادر أن تجد خطبة من خطب الشيخ لم تتطرق لمناقشة تلك القضية، لقد حدد الشـيخ موقفه من تلك القضية كالآتي:

- الاستعمار والصهيونية هما آخـر أشـكال القـوى الشيطانية التي تتآمر على أمتنا.
- المجتمع الإسرائيلي مجتمع توراتي حتى النخاع.
- المسلم والمسلمة وحده هو القادر على مواجهة الكيان الصهيوني؛ لأن حياته وحضارته ودينه ومصـالحه هي المستهدفة.
- إن الصراع مع إسرائيل صراع حضاري. يمتد فـي جغرافيا وتاريخ المنطقة بشكل جذري، وأن محاولـة تكييف الصراع على غير هذا الأساس يعـد خيانـة للأمة يسحب أهم أدواتها في الصراع، وهي العقيـدة الإسلامية، والحرب الشعبية الإسلامية طويلة المدى.

- رفض كافة أشكال المساومة والمفاوضات والصلح مع إسرائيل على أساس أنه لا توجد نقط التقاء بين أمتنا وبين إسرائيل. فانتصار أي منهما يعني فناء الأخرى.
- وانطلاقًا مما سبق كان موقف الشيخ أحمد الصلب في رفض كامب ديفيد، بل إن مسجد القائد إبراهيم أصبح مركز المعارضة الرئيسي لكامب ديفيد في مصر.

* * * *

قصتي مع

السادات أيام الصدام الأخير

في ذلك الصيف من عام ١٩٨١. كانـت سـماء مصـر كشأنها في الصيف صافية. وكانت الإسكندرية مثل كل مدن وقرى مصر تشهد نوعين من البشر، نوع يصـطاف علـى الشواطئ ونوع آخر يحمل هموم مصر. يعاني مـن الفقـر والجوع والخوف. يشعر بالمرارة تجاه ما تم مـن تصـفيةٍ لقضية المسلمين الأولى (القضية الفلسطينية) في كامب ديفيد. فيجرع المذلة حينما يرى اليهود وقد جاءوا من كـل حـدب وصوب ليدخلوا مدن مصر وقراها باسـم السـياحة وباسـم التطبيع (تطبيع العلاقات وفقًا لمقررات كامب ديفيد). كـان الأمر قد بلغ حدا لا يحتمل، وخصوصا بعد أن استغل القطاع الانعزالي داخل الأقباط في مصر مأزق النظام للضغط عليه وانتهاك حرمات المسلمين في المساجد وفي خارج المساجد، ووصل الأمر إلى حد إطـلاق الرصـاص مباشـرة علـى المصلين في الزاوية الحمراء وقتل المسلمين جهارا نهـارا، وكان من الطبيعي أن الفقراء والمستضعفين وعمـوم الأمـة

تتجه في ذلك الوقت العصيب إلى العلماء المجاهـدين لتلـوذ بهم كشأن الأمة دائما. وكان من الطبيعي أن تتجـه النخبـة المغتربة المعادية للأمة إلى الحركة السريعة لفصم العلاقـة التاريخية بين الأمة والعلماء. لقد أدركت القوى الاستعمارية والصهيونية والأرستقراطية المصرية أن الصدام قد أصـبح وشيكًا. وأن حجم الانتهاك لمشاعر الأمة قد أصبح لا يحتمل وكان من الطبيعي أن تقوم تلك القوى بالعمل علـى إبعـاد العلماء عن الجماهير تمهيدا للاسـتفراد بتلـك الجمـاهير، وتمرير المزيد من المخططات المعادية للأمة.

كان الشيخ أحمد المحلاوي وبتراثه الطويل في الوقـوف مع الأمة هو الملاذ والملجأ، وكان من الطبيعي بالتـالي أن يكون الشيخ أحمد هو أول أهداف القوى المعاديـة للأمـة. وهكذا وفي يوم ١٦/ ٧/ ١٩٨١ صدر القرار بإيقاف الشـيخ أحمد المحلاوي عن العمل في المسجد.

لقد صدر القرار. وجاء إلى مديرية الأوقاف بالإسكندرية، واتصلت مديرية الأوقاف بالشيخ أحمد، وأبلغته أنه قد جاءت إشارة مؤداها وقف الشيخ أحمد المحلاوي عن العمل وانتداب إمام آخر للمسجد وتبليغ الأمن بذلك.

وفي مساء ١٦/ ٧/ ١٩٨١ جاءت للشيخ أحمد إشارة من مديرية الأمن تقول "مدير أمن الإسكندرية - إدارة البحث الجنائي - فضيلة الشيخ أحمد المحلاوي. برجاء التواجد بمكتب المدعي العام الاشتراكي صباح يوم السبت ١٨/ ٧/ ١٩٨١ أمام السيد الأستاذ رفيق الدهشان وذلك للأهمية. وتفضلوا بقبول الشكر. مدير إدارة البحث الجنائي. عادل إسماعيل.

وكان ذلك يوم الخميس ١٦/ ٧/ ١٩٨١ وأدرك الشيخ بحسه الرباني أن ذلك يعني ببساطة قرار الوقف أولاً، ثم لفصم الصلة التي بين الشيخ وجماهيره. يستدعى الشيخ إلى مكتب المدعي الاشتراكي يوم السبت. وبالتالي لا توجد فرصة للشيخ للتفكير والاتصال بالجماهير؛ حيث إن الأحداث متلاحقة مما يوقع الشيخ في الارتباك.

وكان على الشيخ أن يأخذ قراره بسرعة. ووازن الشيخ بين أمرين.. إما أن يصلي الجمعة كعادته في المسجد ويتجاهل قرار الإيقاف، وإما أن يمتنع عن الذهاب إلى المسجد في يوم الجمعة انتظارا لتحقيق المدعي الاشتراكي. وكان الأمر الثاني يعني أن يصاب الناس بمرارة بالغة، ربما

تترجم في رد فعل عنيف تجاه النظام، وخصوصا أن الشباب قد جاءوا إلى الشيخ وأدرك الشيخ كم كان الجـو مكهربـا.. وقرر الشيخ ألا يترك الجماهير وحـدها، وأن يبسـط كـل الحقائق أمامها، وأن يخوض المعركة معها. وقرر الشيخ أن ينزل إلى المسجد ويقوم بخطبة الجمعة، فهذا واجبه أمام ربه ثم أمام أمته.

كانت كل مصر مـع الشـيخ. الفقـراء والمستضـعفون والشرفاء من كل القطاعات. وجاءت مصر كلها عبر الوفود من كل مكان إلى المسجد. وصعد الشـيخ المنبـر. وكـان موضوع الخطبة هو معركة بدر. وقال الشيخ إن معركة بدر مستمرة. وأن المعركة ليست فقط ما وقـع بـين الرسـول وصحابته ضد قريش، ولكنها كل معركة بين الحق والباطل.

وفي تحليله لمعركة بدر قال الشيخ أعوذ با من الشيطان الرجيم. بسم ا الرحمن الرحيم ﴿ **ولَقَدْ نَصَـرَكُمُ ا ُ بِبَـدْرٍ وَأَنْتُم أَذِلةٌ فَاتقُوا ا َ لعلكُم تَشْـكُرون**﴾ ـ لقد جمع ا بـين المسلمين وكانوا قلة على غير تعبئة وبين المشركين وكـانوا كثرة قد أعدوا عدتهم. جمع ا بين فئتين. فئة تقاتل في سبيل ا . وفئة أخرى تصد عن سبيل ا . بـين جماعـة يقـول

زعيمهم ﷺ "اللهم إنهم جياع فأشبعهم، عراة فاكسـهم، حفـاة فاحملهم" وبين جماعة يقول زعيمهم المتغطـرس "والـلات والعزى لا نرجع حتى نرد ماء بدر ونقيم عليه ثلاثًا وننحـر الجزور ونشرب الخمور.. وتُغنينا القيان". جمع ا بين فئتين فئة له وليس معها من أسباب النصر إلا هو، وفئـة أخـرى معها عدة الأرض كاملة ولكن ليس معها ا عز وجل".

وقال الشيخ: بسم ا الرحمن الرحيم ﴿**إِذْ يوحِي ربك إِلَى الْملائِكَةِ أَني معكُم فَثَبتُوا الَذِين آمنُوا سأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَذِين كَفَروا الرعب فَاضربوا فَوقَ الأَعنَاقِ واضربوا مِـنْهم كُـل بنَانٍ ١٣.ذَلِك بِأَنهم شَاقوا ا َ ورسوله ومـن يشَـاقِق ا َ ورسوله فَإِن ا َ شَدِيد الْعِقَابِ**﴾.

بسم ا الرحمن الرحيم ﴿**فَلَم تَقْتُلُوهم ولَكِـن ا َ قَـتَلَهم وما رميتَ إِذْ رميتَ ولَكِن ا َ رمى ولِيبلِي الْمـؤْمِنِين مِنْـه بلاء حسنًا**﴾ واستنتج الشيخ أن المؤمنين إذا ما صـدقوا مـا عاهدوا ا عليه، وبذلوا جهدهم وأقبلوا على ربهم مخلصين؛ فإن مدد ا لابد آتٍ ونصره لابد محقق.

بسم ا الرحمن الرحيم ﴿**كَم من فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبـتْ فِئَـةً كَثِيرةً بِإِذْنِ ا ِ**﴾.

بسم ا   الرحمن الـ رحيم ﴿ **إن ا َ يـ دافِع عـ ن الـ ذِين آمنُوا**﴾.

بسم ا   ارحمن الرحيم ﴿ **وما النصر إلا مِن عِنْدِ ا ِ** ﴾.

وختم الشيخ خطبته بتلك الكلمات "أيها المسلمون. لا ينبغي النكوص عن واجب خوفًا من تضـ حية فمـ ا ذل المسـ لمون ولا هانوا إلا يوم حرصوا على الدنيا وانكبوا عليهـ ا" أيهـ ا المسلمون لن نُساوم في ديننا. لن نتخلى عـ ن مبـ دئِنا. لـ ن نخضع لتهديد أو إرهاب ـ لن نستسلم أو نسـ تكين ـ نحـ ن نعلم ونؤمن أن ما أصابك لم يكن ليخطئك.. وأن ما أخطـ أك لم يكن ليصيب".

نحن قد صممنا أن نفدي ديننا بدمنا. وأسلمنا أمرنا لربنا".

وهكذا قال الشيخ كلمته. أعلن وقوفه مع الأمة ضد الفساد والتسيب والطغيان حمل الشيخ هموم الأمة. ولـ م يقبـ ل أن يتركها وحدها في العراء أمام القوى الشيطانية. وكان علـ ى الجماهير أن تقول كلمتها.

وبالوعي التلقائي المميز للأمة في كل مراحل تاريخهـ ا. أعلنت الجماهير كلمتها. خرجت هتافات أكثر من مليون في المسجد وحوله تدوي في ضمير التاريخ وفي وعي الأمـ ة.

"إسلامية.. إسلامية.. لا شرقية ولا غربية" إسلامية إسلامية لا صليبية ولا يهودية". "يسقط عملاء الصهيونية". "لا إله إلا ا . محمد رسول ا . عليها نحيا. وعليها نموت. وفي سبيلها نجاهد. وعليها نلقى ا " ـ "في سبيل ا قمنا ـ نبتغي رفع اللواء ـ لا لحزب قد عملنا.. نحن للدين فداء. فليعد للـدين مجده. أو تُرقْ فينا الدماء".

وقامت الجماهير لتبايع الشيخ المجاهد تلك البيعة التاريخية الفذة "نعاهد ا تعالى ـ الـذي أحببنـا مـن أجلـه أحمـد المحلاوي ـ أن يظل إخلاصنا له، ووقوفنا معه ما دمنا على الطريق ـ ونعاهد ا أن نكـون رهـن إشـارته، وطـوع استدعائه في أي وقت من ليل أو نهار أو ضراء أو سـراء حتى نلقى ا أعزة يرضى عنا. ويعلم أننا أحفاد خالد وأحفاد عمار بن ياسر، وأحفاد الشهداء من المسلمين، وأننـا أحفـاد رسول ا ، وأحفاد حمزة بن عبد المطلـب الـذي قُطعـت ومضغت كبده. وأن نكون أوفياء أخوة نتسابق فـي حمايـة بعضنا البعض، وأن نكون جسدا واحدا على اليهـود وعلـى النصارى وعلى المرتدين، وعلى المارقين وعلى الفاسـقين وعلى الظالمين، وعلى الحكام المعربدين الذين استذلوا البلاد

وضيعوا العباد، وأفقروهم وأجاعوهم اللهم فاشهد. بيعة نقابلك عليها.

ولتكتمل البيعة التاريخية.. بين الأمة والعلماء قام العـالم الأزهري المجاهد سيد علي محمود شحاتة إمـام وخطيـب بأوقاف الإسكندرية، فقال العالم المجاهد: "أيها المسلمون.. إن الشيخ المحلاوي رجل قام بواجبه تجاه ا ونحن جميعا نعلن أنا جميعا نضع أموالنا ملكًا للشـيخ المحـلاوي. ويـوم أن يصاب المحلاوي بخدش واحد في ثوبـه.. لابـد أن تـراق الدماء وليعلم الجميع أننا جميعا سوف نعتصم في هذا المكان من أجل المحلاوي وأن السجن أحب إلينا من الذل.. وإننـي أعلن باسم زملائي علماء الأوقاف أن الجنة خير لنا والـدنيا ليس فيها شيء.. كل من عليها فان".

ومرة أخرى يتكلم الشيخ أحمد المحلاوي.. واستكمالاً لتلك الصلة بين العلماء والجماهير، يوضح الشيخ أحمد أن القضية ليست قضية فرد.. وإنما هي قضـية أمـة بـدأت تصـحو لتتصدى لأعداء ا من الاستعمار والصهيونية.. وأن القوى الشيطانية قد حددت مطالبها بوضوح فـي إبعـاد العلمـاء المجاهدين عن الجماهير. وهكذا فإن المسألة على حد قـول

الشيخ أكبر من السادات. إن إيقاف الشـيخ أحمـد مطلـب أمريكي وصهيوني. وإن الشيخ سوف يقدم قربانًـا لأمريكـا وإسرائيل. باعتبار الشيخ هو المعارض الرئيسي لكامب ديفيد ولسياسة الانفتاح الاقتصادي.

ومرة أخرى جدد الشيخ موقفه ضد أمريكا والصـهيونية والفساد والرشوة، ومطالبته بإصلاح الأوضـاع الاقتصـادية والسياسية والاجتماعية، على أساس أن هذا هو واجب العلماء دائما.

وهكذا كانت لحظة فذة في تاريخ الأمة. تعانق فيها والتحم العلماء مع الجماهير، وبدا أن فجر الجماهير قريب. وكـان آخر لحظات اللقاء التاريخي أن حملت الجماهير الشيخ وهي تهتف "إسلامية يا سادات رغم أنف الخواجـات" "حسـبنا ا ونعم الوكيل".

وتعاهدت الجماهير مرة أخرى على متابعة الشيخ أحمـد يوما بيوم في كل مدن وقرى مصر.

* * * *

الإمام الأعزل في مواجهة أجهزة السلطة

وفي يوم السبت ١٨/ ٧/ ١٩٨١ ذهب الشيخ إلى جهـاز المدعي الاشتراكي لم يكن الشيخ مسلحا بجاه أو سلطان. لـم يكن الشيخ مسلحا إلا بقوة ا عز وجل، ثم بالتفاف المسلمين حوله وكفى بهذا سلاحا.

ومنذ الوهلة الأولى فـي تعامـل الشـيخ مـع المـدعي الاشتراكي وضح للشيخ أن المدعي الاشتراكي قد قصـد أن يفهم أن المسألة ليست مسألة قـانون ولكنهـا مسـألة فـوق القانون. فلقد أخبر المدعي الاشتراكي بطريقة فجة المحـامي الذي حضر مع الشيخ بأنه ممنوع حضور المحـامين، فلمـا اعترض المحامي وطلب أن يريه قانونًا يمنع ذلك. وبعد أخذٍ ورد خرج المدعي من الغرفة، وغاب فترة ثم رجـع وقـال للمحامي: لا مانع أن تجلس ولكن لا تسـجل اسـمك، ولقـد رفض المحامي ذلك قائلاً: إنه لا يقبل منّة من أحد وأخيـرا خضع المدعي وحضر المحامي، ولقد تساءل الشيخ متعجبا:

"هل لا يعرف القانون كرئيس نيابة؟ أم تلك بادرة لها معنى محدد.

ولقد كانت الملفات التي أمام المدعي الاشتراكي ضخمة بدءا من شرائط للخطب منذ عام ١٩٨٠. وتقرير من أمن الدولة - وتقرير من الأوقاف وجهات متفرقة حتى خطبة الجمعة التي لم يمر عليها سوى ٢٤ ساعة كانت موجودة عنده - وبالطبع كانت التقارير كاذبة، كانت التهم الموجهة إلى الشيخ كالآتي:

- التهجم على نظام الحكم.
- المساس بالوحدة الوطنية.
- المساس بمعاهدة السلام.
- إثارة الجماهير.

وكان رد الشيخ على التهمة الأولى أن لا يقبل الاحتكام إلا إلى كتاب ا . فإذا كان كتاب ا قد جعل من الرئيس أسطورة أو جعل منه قداسة لا تمس، حينها تصبح التهمة صحيحة. ولكن إذا كان كتاب ا قد جعل منه فردا عاديا، فإن من حقي ومن حق علماء الدين ومن حق كل صاحب رأي أن ينتقده لأنه يخطئ ويصيب.

وكان رد الشيخ على التهمة الثانية. أن النظام يعرف جيدا من هو الذي داس الوحدة الوطنية بالنعال. وقتل المسـلمين.. وأقام المظاهرات.. إن هذا الأمر معناه وزن غيـر معتـدل وكيل بكيلين، ثم إن قانون الوحدة الوطنية قوانين غير منزلة. إنها قوانين صنعها فرد. وإذا قلت إنها قوانين قـد اسـتفتُي عليها الشعب فأقول إنها استفتاءات مـزورة. وإذا قلـت: إن مجلس الشعب وافق عليها أقـول لـك إن مجلـس الشـعب انتخاباته مزورة، وبالتالي يصبح مرد الأمر كله إلـى كلمـة الحاكم، وكلمة الحاكم غير مقدسة.

وكان رد الشيخ على التهمة الثالثة إنـه إذن أنـا أحـاكم لحساب أمريكا وإسرائيل.

وبالنسبة للاتهام الرابع قال الشيخ إن الذي أثار الجماهير في الواقع هو من أصدر قرار إيقافي عن العمل في المسجد.

وأوضح الشيخ أن الأمر في النهاية هو محاولـة إحنائـه للسلطة وقرر الشيخ أنه لن يحني رأسه إلا . وأن المـوت جوعا لن يجعله يخضع.

وفي نهاية الجلسة طلب المدعي الاشتراكي أن يعود إليـه الشيخ في يوم الثلاثـاء الموافـق ٢١/ ٧/ ١٩٨٤. وحـاول

محامي الشيخ أن يفهمه أن هذا الأمر غير مقبول فليس من المعقول أن يأتي الشيخ على القاهرة خمس مرات، ويمكن اختصار الأمر إلى جلسات متوالية، ولكن المدعي أصر على رأيه.

وعاد الشيخ إلى الإسكندرية في مساء السبت. وتناول الشيخ فطوره وكان ذلك في نهاية رمضان، ونزل إلى المسجد لصلاة العشاء، وقرر الشيخ مع المصلين أن يبدأ الاعتكاف يوم الثلاثاء إحياء لسنة رسول ا ﷺ وبالتالي فإنه لن يذهب إلى القاهرة أو إلى المدعي الاشتراكي وبالطبع كانت خطوط التلكس مفتوحة مع القاهرة. وجاءت إشارة إلى الشيخ بتغيير الموعد إلى الاثنين ٢٠/ ٧/ ١٩٨٤ وتفاهم الشيخ مع المحامي، وأعلن المحامي أن هذا أمر مبيت لمنع الشيخ من الاعتكاف وقرر الشيخ عدم الذهاب. وجاء أحد ضباط الأمن ليخبر الشيخ أن الأمر انتهى وأن المسألة لا تعدو أن تكون مجرد إجراءات قصيرة لا تستغرق سوى ساعة، وكان ذلك الضابط يدعي أنه صديق للشيخ، وأفهمه أنه اتصل بالجهات العليا، وأن الخمس جلسات المقررة للتحقيق مع الشيخ قد تم إلغاؤها، وسوف يكتفى بجلسة

قصيرة يوم الاثنين، وأن على الشيخ فقط ألا ينـزل لصـلاة العشاء يوم الأحد.

وكانت تلك خدعة للشيخ. فبعد منتصف ليلة الاثنين وفـي حوالي الساعة الثانية والنصف جاءت قافلة من ثماني عربات لوري من الأمن المركزي مدججة بالسلاح، ويمتلئ الشـارع بالمسلحين بالمدافع والرشاشات والبنـادق الآليـة وأجهـزة اتصال اللاسلكي.

كان هناك لواءات وعمداء وعقداء ومختلف الرتب، وكأن الشيخ أحمد تحول إلى كارلوس الشـهير أو جـيمس بونـد الرهيب. وليس مجرد شيخ أعزل. ودخل الشيخ أحمد ليلبس ملابسه فدخلوا وراءه - منع ابـن الشـيخ مـن الاتصـال بالتليفون - كانت بنات الشيخ وزوجته قـد انخـرطن فـي البكاء. وكان الشيخ يحاول أن يهدئ مـن ثـائرتهن قـائلاً لا يصح أن تكون بيوت العلماء إلا صابرة. لأن هـذا قـدر العلماء الشرفاء. كانت عربات البوليس تحيط بكل الشوارع، ووصل موكب الشيخ إلى مبنى المحكمة في المنشية، والتـي كانت محاطة من كل الجوانب، كما أن الشوارع قـد سـدت بسيارات الأمن المركزي، وبدأ التحقيـق معـه فـي نيابـة

المنشية. وكانت نفس التهم هي نفسها في الأمن، وفي النيابة، وفي المدعي الاشتراكي - وبدأ الشيخ بسؤال رئيس النيابة هل أنت مقتنع بما تفعل؟

ولم يكن وكيل النيابة وحده غير مقتنع. جاء كل رجال الأمن الذين اعتقلوا الشيخ ليعتذروا، وأنهم لا دخل لهم في هذا الأمر، وأنهم مغلوبون على أمرهم. وقال لهم الشيخ أين رجولة المصريين؟ من المفروض ألا تنفذوا إلا ما تقتنعون به أو تستقيلوا. لأن المناصب زائلة.

كانت كل مصر تسأل عن الشيخ - الوفود تأتي إلى الإسكندرية للسؤال عن الشيخ. كان العلماء في كل مسجد يتكلمون عن قضية الشيخ، وفي خطبة العيد كذلك كان هناك حديث عن قضية الشيخ أحمد المحلاوي باعتبارها قضية الإسلام في كل مكان.

وتحركت أجهزة السلطة لتصغير حجم القضية.. صوروا المسألة على أنها مجرد محاكمة الشيخ على التعرض لعرض زوجة الرئيس السادات. ومن الطبيعي أن الشيخ لم يتعرض لعرض الرئيس السادات، ولا لغيره وأن هذا أحد الأساليب القذرة لوضع القضية في غير وضعها الصحيح.

في الجمعة التالية ٢٤/ ٧/ ١٩٨٤ حوصر مسجد القائـد إبراهيم ومنع الشيخ أحمد من دخوله. وذهب الشـيخ أحمـد ليصلي في مسجد عمر بن الخطاب وفجأة فرغ مسجد القائـد إبراهيم من المصلين الذين ذهبوا إلى مسجد عمر بن الخطاب للصلاة خلف الشيخ المجاهد وُأسقط في يد أجهزة السلطة. إن فراغ مسجد القائد إبراهيم من المصـلين وانصـرافهم إلـى مسجد عمر بن الخطاب يعني أن جماهير الإسكندرية تقـف وراء الشيخ وتحركت أجهـزة السـلطة بسـرعة.. فقامـت باستقدام موظفي القطاع العام في أتوبيسات هيئة النقل العام، للصلاة في مسجد القائد إبراهيم، مقابل جنيه لكل من يـؤدي الصلاة في المسجد - ومـن الغريـب أن يتواجـد ثلاثـة مسيحيون ساعة صرف الجنيه ليصرفوه على أسـاس أنهـم أدوا الصلاة - وحدث ذلك في الجمعة الثانية وفي الجمعـة الثالثة ٧/ ٨/ ١٩٨٤ قام الشيخ بشرح الموقف أمام المصلين وحكى للمصلين كل ما حدث له. وحدد الشيخ قضيته في أنه يحاكَم لمصلحة أمريكا والصهيونية والصليبية، وشرح الشيخ كيف أن خطباء المساجد ليسوا موظفين لدى الحكومة بل عند ا عز وجل، وأن الأوقاف ليست ملكًا للحكومة، ولكن ملكًا

للخيرين من المسـلمين الـذين أوقفوهـا لصـالح الـدعوة الإسلامية. وتعجب الشيخ كيف يمتهن أحد العلماء في عهـد السادات، في حين أن الاحتلال الفرنسي أو الإنجليـزي لـم يجرؤ على عمل ذلك.

وكان موضوع الخطبة هو قضية الحكـم فـي الإسـلام، وأوضح الشيخ أن الإسلام يعني الاستسلام الكامل في كل أمر، وبالتالي لا يكون هناك سلطان لغير ا . والإسلام لابد أن يحكم كل ما يجري في بلاد المسلمين؛ فإذا جاءت جهات أو أفراد ليسلخوا من الإسلام جزءا هاما، وهو الحكـم ذلـك الذي بين ا سبحانه وتعالى، إنه ما لم يكن هناك حكم بالدين فلا إسلام ﴿ **ومن لم يحكُـم بِمـا أَنْـزلَ ا ُ فَأُولَئِـك هـم الْكَافِرون**﴾ فأولئك هم الظالمون ـ فأولئك هم الفاسقون ـ بل ا يجعل في مقابلة حكم الإسلام. حكم الجاهليـة. ﴿ **أَفَحكْـم الْجاهِلِيةِ يبغُون ومن أَحسن مِن ا ِ حكْما لقَومٍ يوقِنُون**﴾. ـ إن الإسلام لم يجعل خارج إطاره شيئًا فيما يجري في دنيـا الناس".

فماذا ترك الإسلام بعد ذلك، حتى يأتي من يريد أن يجرد الإسلام من أهم مقوماته فيقول لا سياسة في الدين.

واستطرد الشيخ إلى مخطط الاستعمار بشأن الإسلام. ذلك الاستعمار الذي يريد أن يضع للمسلمين دينًا لا يقارن. دينًا لا يخرج من أبواب المسجد. دينًا يجعل المسلمين راكعين ساجدين بلا فهم وبلا وعي بل وبلا دين - ولقد سار على نهج الاستعمار حكام يخافون من الإسلام على عروشهم المهتزة.

وأوضح الشيخ كيف أن الضوء الأخضر قد صدر من الرئيس السادات بتصفية الشيخ أحمد المحلاوي، وذلك حينما تكلم الرئيس السادات في مؤتمر الحزب الوطني عن أئمة المساجد. وراحت كل الأجهزة تعمل ضد الشيخ - جهاز المدعي الاشتراكي - وجهاز الأمن - وجهاز النيابة العامة، وحتى الصحافة فقد أشارت صحيفة مايو إلى رسالة أحد الصحفيين الأمريكيين، حول قيام المساجد بعمل معارضة تشبه معارضة الخوميني في إيران، وأن علماء الدين المسلمين قد أصبحوا خطرا كبيرا على النظام الساداتي، ثم سرد الشيخ ما حدث له من اعتداء عليه، والقبض عليه وتقديمه إلى النيابة، وكيف أنه يرفض الاحتكام إلى غير كتاب ا ، وأنه بات يدرك أنه قربان مقدم من النظام

للأمريكان والصهيونية، وختم الشيخ كلمته بأن المسجد دائما كان منبعا لكل الثورات.

* * * *

خاتمة

كانت الأحداث تتوالى بسرعة. كان الرئيس السادات يفقد صوابه تجاه العلماء ورجال الدين تدريجيا.. وفي يوم ٤ سبتمبر ١٩٨١ اعتُقل الشيخ وذُهب به إلى سجن التجربة (وهو أسوأ السجون المصرية على الإطلاق ومخصص لكبار المجرمين والخطرين) ووقف السادات يخطب في الأمة مزهوا في يوم ٥ سبتمبر بأن الشيخ البذيء (يقصد الشيخ أحمد المحلاوي) ملقى في السجن كالكلاب.

كانت المؤامرة تقضي بمعاملة الشيخ أسوأ معاملة.. ولكن ا كان هناك. كان في هذا السجن شخص يقضي عقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة بتهمة الاتجار في المخدرات، وكان هذا الشخص يتمتع بنفوذ كبير داخل السجن بفضل ما يدفعه من رشاوى وإتاوات وشراء للذمم.. كانت أفخم الأطعمة تأتي إليه ساخنة أو باردة من أكبر المحلات في القاهرة. وبنخوة مصري بسيط قرر هذا الرجل أن يشرك المحلاوي معه في طعامه أو شرابه، بل لقد أرسل في طلب ملابس للشيخ وجاءته على وجه السرعة. بل إن ذلك الرجل قرر أن يصلي حتى يقبل الشيخ مشاركته في الطعام، على أساس أنه ربما

لا يقبل أن يشاركه بدعوى أنه لا يصلي. وكانـت مفاجـأة للشيخ أن يجد أمامه طعاما لم يذقه في حياته. وملابس فخمة وعددا كبيرا من الحراس رهن إشارته، بحكم أمـوال ذلـك الرجل التي تدفع لهم. ويذهب السادات ويخرج الشـيخ مـن السجن ـ وا غالب على أمره.

* * * *



http://tahasafeer.blogspot.com/